CC BY

سلطة الاستلاب في شعر عمر بن أَبي ربيعة

دراسة في صورة المرأة

إيمان خليفة حامد *

تأريخ التقديم: 2022/10/6 تأريخ القبول: 2022/10/15

المستخلص:

إنّ الحديث عن الاستلاب من غير تقييده بلفظ يوضح مساره يصير حديثًا فضفاضًا؛ إذ صارت هذه اللفظة عصرية ومتكررة، وحين نقول: إنَّها عصرية، فإنَّ ذلك لا يعني أَنَّ الماضي لم يشهد استلابًا من أَي نوع من الأنواع، لكنَّنا ندرك حقيقة أَنَّ اللفظة كانت حبيسة الفكر وظهرت بوصفها مفهومًا لا مصطلحًا في العصر الحديث؛ لذا فإنَّنا ندين للغرب بانبثاقة المصطلح؛ لكنَّنا في الوقت نفسه نؤكِّد وجود صور من الاستلاب متعددة في الواقع العربي.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن صور الاستلاب فيما يتعلَّق بشعر المرأة، وقد وقع الاختيار على شعر عمر بن أَبي ربيعة لأسباب سيقف عندها البحث في تحليله لنصوص الشاعر ونقده البيئة والعصر اللذين ينتمي إليهما عمر بن أَبي ربيعة، فضلًا عن مفاهيم مقاربة للمصطلح كالتهميش والاغتراب والهوية.

الكلمات المفتاحية: الاستلاب ،المرأة ، الشعر الأُموي، التهميش، القيم المجتمعية.

توطئة :

الاستلاب من اللغة إلى الانسان :

قد يبدو الحديث عن أي مصطلح في ميادين الدراسة الأَدبيَّة والنقديَّة، كالدخول في عالم المحسوسات في المجتمع الروحي؛ لأنَّ الناقد يفاجأ أَحيانًا بفوضى عارمة تكتسح المصطلح، وليس ثمة ما يؤطر هذه المصطلحات على تعدد الدراسات التي أدركت حجم هذه الإشكالية، لكن المحاولات غالبًا ما تنتهي إلى طريق موصد،

* أُستاذ مساعد/قسم اللغة العربيَّة/كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/جامعة الموصل.

وحلول متجمدة، إنَّ البحث في مثل هذه المصطلحات يجعلنا نتساءل هل تغيرت المجتمعات فكريًا واجتماعيًا إلى الحد الذي تنفصل فيه هذه المصطلحات لتمثل العصر الذي انبثقت عنه ؟! وتنقطع عن تلك السنوات الغابرة من عمر النص الأدبي ؟! وهل أن ما نراه من قضايا على درجة عالية من الخطورة هي من بنات العصر الحديث حتى عُدَّت مرتكزات لنمط من الغزو الثقافي الذي تتعرض له الإنسانية في وقتنا الراهن حتى غدت ((الثقافة أحيانا، من حيث تأصلها في التقاليد، عقبة في طريق التحديث))[1].

إنَّ أَوَّل خط يشكل ملامح الإجابة عن هذا السؤال يكمن في الحفر في عمق اللغة بحثًا عن الدلالة المعجمية لهذا المصطلح ليتسنى لنا مقاربة (الاستلاب) مفهومًا ومصطلحًا في الوريقات الأُولى من هذا البحث؛ ولوجود من يرى أنّ المجتمع الحديث أكثر تقييدًا وأنَّه شهد اختلافات مجتمعية ميزته عمّا قبله، فإنَّه في الوقت نفسه يشير إلى عمق التواصل والتأثر بالآخرين، فضلًا عن الانفتاح المعرفي والثقافي مما يجعل المتلقي يعيد قراءة نصوص مرّ عليها وقت طويل ليدرك بوعيه أنّ هناك تفاصيل سجلها النص الشعري عكست فكرًا قد يفصلنا عنه حقب زمنية طويلة لكن هذه القراءة بالتأكيد ستقاربه فكرًا مناسبًا لما كان عليه المجتمع آنذاك ومتواصلًا لما آل اليه المجتمع في وقتنا الحاضر.

الاستلاب لغة :

لمادة (سلب) دلالات معجمية عديدة منها: أَخذ الشيء بخفة واختطاف، فـ(سَلَبَ) السِّينُ وَاللامُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخْذُ الشَّيْءِ بِخِفَّةٍ وَاخْتِطَافٍ. يُقَالُ سَلَبْتُهُ ثَوْبَهُ سَلْبًا... ،وَمِنَ الْبَابِ تَسَلَّبَتِ الْمَرْأَةُ، مِثْلُ أَحَدَّتْ. وقيل : هَذَا مِنَ السُّلُبِ، وَهِيَ الثِّيَابُ السُّودُ . والسلب مَا يُسْلَبُ بِهِ، وَالْجَمْعُ أَسلابٌ، وَكُلُّ شيءٍ عَلَى الإِنسانِ مِنَ اللباسِ فَهُوَ سَلَبٌ، وسُلِبَ الرجلُ ثِيَابَهُ؛ وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ السَّلَب، وَهُوَ مَا يأْخُذُه أَحدُ القِرْنَيْن فِي الحربِ مِنْ قِرْنِه، مِمَّا يكونُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ مِنْ ثِيابٍ وسلاحٍ ودابَّةٍ، وَهُوَ فَعَلٌ

1 ــ الغزو الثقافي ومقاومته،د.عزيز الحاج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1 بيروت ــ 1983:13.

بِمَعْنَى مفعولٍ أَي مَسْلُوب. ورجلٌ سَلِيبٌ مُسْتَلَب الْعَقْل، وَالْجَمْعُ سَلْبى. والسَّلَبُ: ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ ينبُتُ مُتَناسقاً، ويَطولُ فيُؤخَذُ ويُمَلُّ، ثُمَّ يُشَقَّقُ، فتخرجُ مِنْهُ مُشاقةٌ بيضاءُ كالليفِ، واحدتُه سَلَبةٌ، وَهُوَ منْ أَجودِ مَا يُتخذ مِنْهُ الْحِبَالُ. وَقِيلَ: السَّلَبُ ليفُ المُقْلِ، وَهُوَ يُؤْتى بِهِ مِنْ مَكَّةَ ، وَهُوَ أَبيض ، والسَّلَب قِشْرٌ مِنْ قُشورِ الشَّجَر، تُعْمَلُ منهُ السِّلالُ، يُقَالُ لسُوقِهِ سُوقُ السَّلَّابِينَ، وَهِيَ بمكَّة معروفَةٌ [1].

الاستلاب اصطلاحًا:

لذا تكررت هذه اللفظة في محافل متعددة وأدرك النقاد أبوابًا كثيرة؛ لذا ندين للعرب بانبثاقة المصطلح لكننا لا نغالي في عدّه مصطلحا وافدا؛ لأنّ الفكر العربي لا يخلو من طرح قضايا تثير وتقارب فحوى هذا المصطلح الذي تنمو في ارضه مصطلحات اخرى كالذات والهيمنة والهوية والخصوصية والتهميش والتقليدي والمبتكر القبول والرفض وغيرها[2] .

ولعل من اجمل ما وقع عليه المصطلح من دلالات ما ذكره الفيلسوف الفرنسي ريكور في مقالته عن الاستلاب حين عده كيانًا مريضًا، وطرح تساؤلًا في إمكانية علاجه أو قتله، إنَّ الطرح لهذا المصطلح قد لا يحل إلَّا ما اعتادت عليه ذائقة النقاد العرب للوهلة الاولى لكن قراءة مثل هذه الأفكار والمصطلحات واعادة النظر في الموروث الادبي العربي انطلاقا من هذه المفاهيم يجعلنا ندرك ان النص الادبي لا يفنى ولا يموت فهو قادر على منح دلالات وقراءات ورؤى تنبثق من ثقافة المتلقي

---

1 ــ ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، وضع حوايه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2008 : 1/ 566 ، وأساس البلاغة للإمام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1422هـ ــ 2001م : 361. لسان العرب ، للإمام جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ) ، تحقيق عامر احمد حيدر ، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1426هـ ــ 2005م : 1/ 232

2 ــ ينظر : اللغة والهوية بين الاستلاب الحضاري واستعارة الوعي ، د. علي فريد ، 12 توفمبر 2018 موقع الانترنت : Ruyaa.cc/page/8553

فضلًا عن ذلك فإنّ الاستلاب بحد ذاته يقيد حركة الفكر البشري الانساني في الانطلاق لذا فان معرفة وجود الاستلاب تعني قواعد كسرها او فرضها الشاعر او المجتمع آنذاك ويكون طعم التلقي للنص الادبي اكثر لذة ان جاز التعبير .

وفي الوقت نفسه علينا ان نتحاور مع مصطلح اكثر خطورة وهو :مفهوم الاستلاب الثقافي ؛ إذ يعرف الاستلاب الثقافي بأنه ظاهرة يستخدم فيها الأشخاص عناصر من الثقافة غير المهيمنة بطريقة لا تحترم معناها الأصلي، دون تقدير لمصدرها، كما يمكن أن تشوه الصورة الحقيقية، أو قد تساهم في حدوث اضطهاد لهذا المصدر، ويمكن أن يحدث الاستلاب الثقافي بطريقة غير مقصودة، من خلال دمج الثقافات للعديد من الاختراعات المميزة، وعلى الرغم من أن مزج الثقافات المختلفة واختلاطها مع بعضها البعض أمر طبيعي، ناتج عن اجتماع الناس ذوي الثقافات المختلفة مع بعضهم البعض، إلاّ أنّه في حال استخدمت ثقافة معينة غير مسيطرة بصورة استغلالية سيولد ذلك بعض الأضرار. [1]

استلاب مجتمعي : كسر التقاليد

إنّ الحديث عن الاستلاب من غير تقييده بلفظ يوضح مساره ، يصبح حديثا فضفاضا اذ اصبحت هذه اللفظة عصرية ومتكررة وحين نقول انها عصرية لا يعني أن الماضي لم يشهد استلابا من أي نوع من الانواع ، لكننا ندرك حقيقة أن اللفظة كانت حبيسة الفكر وظهرت بوصفها مفهوما لا بوصفها مصطلحا في العصر الحديث حين بدأت المسامع تدركها وتعاد وتتكرر على مسامعنا ؛لذا قلنا (انها متكررة) ويأتي هذا التكرار من واقع بدأ يشهد انفتاحا في جوانبه كافة الثقافية والسياسية والاجتماعية ؛(والانطلاق من الجذور لا يعني التقليد ، والانطلاق من الواقع لا يعني الذوبان في الواقع ، بل الانطلاق منه ،وتجاوزه ، ومحاولة تغييره ، والتغلب على تياراتها السلبية) [2]ونحن هنا اذ نتحدث عن الواقع فإننا بلا شك ندرك ان الواقع لا

1 ــ الواقعية الإسلامية في الادب والنقد، د. احمد بسام ساعي ، دار المنارة للنشر، السعودية، ط1 ــ 1985 م :167 .

2 ــ الواقعية الإسلامية في الادب والنقد، د. احمد بسام ساعي ، دار المنارة للنشر، السعودية، ط1 ــ 1985 م :167 .

يتحرك بمعزل عن الانسان ، الذي يعدُّ الركيزة التي تحرك هذا الواقع تؤثر فيه ، وتأثر به ،وهذا ما سيبدو عيانا حين نرى قصص الشاعر مع المرأة ومغامرات التي تبدو كأنها حدثت بمعزل عن المجتمع العربي والإسلامي .

ولعلنا حين نقارب هذا المصطلح لم نكن نبحث عن عينة عشوائية لأننا ندرك ان الاستلاب الذي نتحدث عنه لا يقارب في نصوص عشوائية انه يعكس حالة مغايرة على القارئ ان يكون حذرا في الكشف عنها والوقوف عندها وبعيدا عن ترجمة الشاعر التي يمكن ان نجدها في مصاف كتب الادب والسيرة فإننا نأنس بعرض مقولة للأصمعي، اذ يقول (ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أَبي ربيعة بعامة ذكر النساء) [1] ، مقولة تختصر الكثير من الطرح الذي نسعى إلى إيضاحه، ترى هل هذا القول يعد مدحا وعلو شأن للمرأة التي اجتمعت مع صاحبتها من النساء تحت خيمة القصص والمغامرات التي احتسبها الادب والنقد لسنوات طويلة من منجزات عمر التي يحق له ان يفخر بها .

في محاورة تنقلها قصة افترشت قصيدة رائية يبدو فيها (عمر) محورا للحديث تناقلته نسوة ثلاث اجتمعن في منزل الرباب ، فالمرأة معلنٌ اسمها وعمر محور الحديث ، والنسوة يتحاورن عن موعد مجيئه اليهم والمعشوقة هي (الرباب) التي تكرر اسمها اكثر من مرة في النص :

قَالَتْ لِتَرْبَيْها بِعَمْرِكُما ... هَلْ تَطْمَعَانِ بِأَنْ نَرَى عُمَرا
إني كأنّ النفسَ موجسةٌ ... ولذاكَ أَطمعُ أنهُ حضرا
فأجابتاها في مهازلةٍ ... وأسرتا من قولها سخرا
إنَّا لَعَمْرُك ما نَخَافُ وَمَا ... نَرْجُو زِيَارَةَ زَائِرٍ ظُهُرا
لَوْ كَانَ يَأْتينا مُجَاهَرَةً ... فيمنْ ترينَ ، إذاً لقدْ شهرا
قالتْ لها الصغرى وقد حلفتْ ... بِاللَّهِ : لا يَأْتِيكُما شَهَرا

1 ــ فحولة الشعراء الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (المتوفى: 216هـ) ،تح : ش. تورّي، قدم له: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان ،ط2، 1400 هـ - 1980 م : 18/1 .

فَتَنَفَّسَتْ صَعَداً لِحِلْفَتِها وَهَوَتْ فَشَقَّتْ جَيْبَها فَطَرا [1]

وهو امر تألفه مجالس النساء حين يختلين بعيدا عن الرجال، فالجلسة نسوية انثوية ولغة النص لغة العشق، والحب ودلالته كثرة الالفاظ التي وردت فيه :(الهجر، الذكرى، الوطر، المنزلة، هاجت، الشوق، الصبر، النظر) وفي مثل هذا النوع من المجالس تبدو اجواء المسامرة والبوح والكشف، الا انه بوح ينافي سمة المجتمع العربي آنذاك، وهذا ما لمحناه في كلّ حكايا عمر وقصصه ومغامراته.

قد تبدو القصص والحكايا التي يرويها عمر في مغامراته لا تصف مجتمعا رسم حدود ثوابته ومحللاته ومحرماته من ذلك تشهد لإحدى المغامرات انه يحدث اصحابه بما يريد القيام به يقول:

لَمّا رآني صَاحِبايَ كأَنَّني

تَبِلٌ بِهَا أَوْ مُوَزَعٌ مَقْمورُ

قالا: أنقعدُ أن نروحُ؟ وما تشأ

نَفْعَلْ وأَنْتَ بِأَنْ تُطَاعَ جَدِيرُ [2]

وتبدو صورة الاستلاب حين يتجرد النص عن انتمائه إلى هذا المجتمع المحافظ فتبدو النساء فيه مباحات تتضح هذه الاباحة حين يأخذ الوصف مسيرته في رسم صورة المرأة التي يعلن عمر (انهن ربائب بيوت وينتمين إلى عوائل)، يقول مفتتح القصيدة:

نُعْمُ الفُؤَادِ مَزارُها مَحْظُورُ بعدَ الصفاءِ، وبيتها مهجورُ [3]

تبدو صورة المجتمع عندما يقدم صورة هذه البيوت وقد اوصدت ابوابها ووقف عليها حراسها وينتخب من الوقت ليله ، واختيار الليل قد يقلل من تقديمه صورة المباح والممنوع ؛ لأنّ الليل بطابعه المبهم ولونه المعتم وستره وخفائه قد يبيح تحول المحظور إلى مباح ، فيسترسل عمر في حديثه مع صحبه في نص طويل يحدد رحلته إلى نعم التي لا يحدد النص هوية اجتماعية حقيقية لها ، وحين يتحدث عن الهوية

1 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة : 221/1 .

2 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :147/2 .

3 ــ المصدر نفسه:186/1 .

الاجتماعية نضع في قراءتنا هوية اخرى دينية تقرر ما هو حلال وما هو حرام ، اما الاولى (الاجتماعية) فإنّها ترسم حدود (المباح) والمحظور مجتمعا.

إنّ اية واحدة من هذه الثنائيات تفتح النص على عالم من القراءة ازعم انه غير مطروق بجدة، فالممنوع والمباح عرفا قد يتداخل او يتعارض او ينطبق مع الحلال والحرام في مجتمعات متنوعة، وقد يندرج ضمن المجتمع الواحد، من هنا قد يتقبل الارستقراطي ما لا يتقبله غيره من فئات المجتمع مع علمنا ان الانسان هو الغاية الأسمى وان (مبدأ التركيز على الانسان في الواقعية الإسلامية، دون الخروج الى((ترف)) التعامل مع ((الأشياء))....) [1] ، هل استطاع النص الشعري الحفاظ على الأشياء والإنسان؟ وهل استطاع الشاعر الاحتفاظ للمجتمع بخصوصيته وأقعيته وهو يحول الواقعي إلى لذا حرص النص الشعري في مواطن كثيرة على كشف ما هو حضري، وما هو بدوي، فظهرت تسميات مجتمعية عديدة في تصنيف الشعراء، بقولهم اهل المدر واهل الوبر، اهل البادية واهل الحضر، وغير ذلك من مسميات جاءت في تصانيف كتب الادب والتراجم. [2]

ما يعنينا في هذا الامر ان عمر قد اخترق حواجز المجتمع بكل تفاصيله، وسنقف وقفات متنوعة وبنصوص متفرقة خشية الاطالة كما ذكرنا، من ذلك انه ادرك ويدرك ان زيارة النسوة امر غير مرغوب فيه، فانتخب الليل سترا لكنه في وقفة اخرى تعلن النسوة ــ على لسانه ــ عن رغبتهن في زيارته ظهرا، ويكشف النص عن مبادرتهن بالإرسال اليه، وتكاد تعلن المشاهد القصصية عن استلاب مجتمعي لا يلي الشاعر اعتبارا له ، ولا تقدم المرأة انتماء لهذا المجتمع اذ يتضح ذلك من حوار جرى بين المرأة على لسان الشاعر :

حَدِّثْ حَديثَ فتاةِ حَيٍّ مرّةً بالجزعِ بين أذاخرٍ وحراءِ

1 ــ الواقعية الإسلامية في الادب والنقد، د. احمد بسام ساعي : 23 .

2 ــ ينظر: جمهرة أشعار العرب ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، تح : علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع :97/1.

قَالَتْ لِجَارَتِها عِشاءً ، إذْ رَأَتْ نُزَهَ المَكَانِ وَغَيْبَةَ الأَعْدَاءِ[1]

ثم تقول :

إذ غابَ عنا منْ نخافُ ، وطاوعتْ أرضٌ لنا بلذاذةٍ وخلاء[2]

إنّ نصا أخذ من المرأة وصفا دقيقا شكلا واسترسالا واضحا لكلّ تفاصليه يكشف عن لحظة ليست زمنية قصيرة ان الوقت يتسع لاتخاذ القرارات التي همشت مجتمعا يتصف بالمحافظ وكأن الموقف قد كشف للمرأة حديثها عن الاخر الرجل (عمر) بغير خوف او مبالاة لما يحتويه هذا المجتمع من تقسيمات اجتماعية وحدود تعد ثوابت في تقييم مسار المرأة وحركتها ، ومع أننا نعي أن هذه المسألة فردية مجتمعية تنماز حسب تقاليد واعراف متنوعة الا أن التركيز على تكرار ما يؤكد الغفلة والخلوة والستر والظلام يؤكد خوفا يجتاح ويستقر داخل نساء هذا المجتمع وهنا تبدو عملية الأسلبة والاستلاب حين يهمش الشاعر (عمر) على لسان الرجل (عمر) متحدثا باسم المرأة مجتمعا كاملا يمتلك ثوابت قريبة عهد بالإسلام ، وكأن الامر لا يزال مرهونا بلحظة الانفلات من الالتزام الذي يسعى ذلك المجتمع إلى تحقيقه ،يقول:

قَالَتْ لِجَارَتِها نْظري ها ، مَنْ أُولَى وتأملي منْ راكبُ الأدماء ؟

قَالتْ أَبُو الخَطَّاب أَعْرِفُ زِيَّهُ وَرَكُوبَهُ لا شَكَّ غَيْرَ خَفَاءِ[3]

حوار يتسم بامتداد سعة الوقت للملاحظة والتأمل ومراقبة سير الفارس ومطيته ، ومشاركة الجارة احاديث مسترسلة وامعان نظر ، تقول :

قالت : لقد جاءتْ ، إذاً ، أمنيتي في غيرِ تكلفةٍ وغيرِ عناء[4]

ان مقاربة الشعري الخيالي بالواقعي المعاش يقتضي جرأة كبيرة في تغييب الواقع وبناء الخيال ، انها لعبة زعزعة الثوابت عبر افتراض واقع يقارب الاماني التي جاءت كما تقول المرأة (في غيرِ تكلفةٍ وغيرِ عناء) ترى هل اباح لها الموقف وسمحت لها الشخوص واذن لها المجتمع الذي مد يديه واحتضن تجارب مخالفة لما

1 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :1/1 .

2 ــ المصدر نفسه :1/1 .

3 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :3/1 .

4 ــ المصدر نفسه:3/1 .

رسمه من ثوابت مجتمعية بنت مجتمعا سوياً نهض به تاريخ لا يزال العربي يفخر به ، ثمة مخالفات مجتمعية كثيرة حاولت القصة والاحاديث والحكايات التي دونت علاقات عمر (شاعرا) متخيلا بما يحقق اسلبة المجتمع وعزله عن محيطه الخارجي المتمثل بالعادات والتقاليد والدين، يقول عمر:

ولقد دخلتُ الحيّ يخشى أهله بَعْدَ الهُدُوءِ وَبَعْدَما سَقَطَ النَّدَى

فَوَجَدْتُ فيه حُرَّةً قَدْ زُيِّنَتْ بالحليِ تحسبهُ بها جمرَ الغضا[1]

إنّ المشاهد تتكرر في صفحات الديوان ولا نزعم بالقول ان كل القصص تقدم النسق نفسه (الرجل الشاعر ، عمر ، الفارس) يسعى إلى المرأة (بالأسماء والصفات والكنية) لكنه غالبا يجعل هذه المرأة تبادر إلى الوصول اليه والتواصل معه وتتعدد المواقف وتختلف الأماكن لكن هذا التعدد والاختلاف يتطابق ضمن نسق واحد اطلقوا عليه الغزل الحسي او الصريح ، وليس ثمة غزل بمعنى الغزل ، ان هناك جرأة واضحة لا تخفى على متمعن في النص اذ يؤكد الشاعر (ولقد) دخوله (الحي) وتتعرض جملة تبدو مخيفة ومعرقلة لمسيرة نهج الشاعر (يخشى اهله) تربك هذه الجملة نسق حضورها فالخشية فعل انهزامي غير اجتماعي ، قائم على الخوف والخوف مجتمعي بغياب دلالات الدين وحضور دالة المكان (الحي) غير أن الخشية بهذا الفعل المعتل المقصور (يخشى) لا يكاد يعطي للفظة (اهله) موقعا مناسبا فهل اهله يخشون هذا القادم ام ان القادم في حال خوف وخشية من اهل الحي .

ويبدو الظرف الزمني (بعد الهدوء وبعدما سقط الندى) حاضرا ليعطي القصة نسقا زمنيا يؤطر دخول الشاعر، الذي يحيلنا إلى مقاربة أخرى عندما وجد (حرة قد زينت) ان جاهزية المرأة في ديوان عمر بن أَبي ربيعة لا تقارب ملمحا جماليا قدر ما تقارب نسقا اجتماعيا مباحا (فالإباحي) يتأتى من اشباع صورة الوصف وامعان النظر في رسم صورة المرأة الجسدية غالبا (قد زينت) لأن الفعل مبني

1 ــ نفسه :9/1 ، وينظر : الأغاني أبو الفرج الأصبهاني، تح : سمير جابر، دار الفكر– بيروت ط2 :3/ 113.

للمجهول فذاك يعني ان فرصة اقتحام عالم النص قد تبدو صعبة لذا استدرك بعد ان ذكر الحي والخشية واقتحامه المكان استدرك بالقول :

لما دخلتُ منحتُ طرفي غيرها عَمْداً مَخَافَةَ أَنْ يُرَى رَيْعُ الهَوَى[1]

يكرر الشاعر فعل الدخول وهو دلالة على استمرار رغبته في الدخول إلى الحي ويؤكد الخفية والخشية (مخافة) ويؤكد الفعل المبني للمجهول (يُرى) وجود تناسق واضح في تتابع الجمل التي يسرد بها الشاعر الحديث :

قَالَتْ لأَتْرَابٍ نَواعِمَ حَوْلَها بِيضِ الوُجُوهِ خَرَائِدٍ مِثْلِ الدُّمَى[2]

يتكرر النسق ذاته الذي يكشف اباحة الفعل وتحويله إلى فعل جماعي ، يتيح الفعل الجماعي اباحة المحظور حين يصبح نسقا اجتماعيا تتخذه مجالس النسوة حديثا يقال ، وفي نصوص عدة اذا ما اعدنا قراءة ديوان الشاعر نلحظ النسق ذاته بمباشرة المرأة افتتاح الحديث مع صاحباتها والسؤال عن عمر وتعدد (ذات هذه المرأة) زينب أسماء الرباب ، او بالغائبية لكنهن جميعا يلتقين في نسق واحد وهو التساؤل ومبادرة الحديث والبحث عن الرجل وهي دالة تأكد الاسلبة الاجتماعية للمجتمع على لسان الشخصيات داخل النص الشعري ، وتصرح بحبه ورغبتها فيه وتدعو النسوة إلى مشاركتها في ذلك الإحساس يقول على لسان المرأة:

بِ للَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ ، حَدِّثْنَني حقاً أما تعجبنّ من هذا الفتى

الداخلِ البيتَ الشديدَ حجابهُ ، في غير ميعادٍ ، اما يخشى الردى ؟[3]

ان مصادرة الحضور الإعلامي لبيوتات المجتمع آنذاك على الرغم من انها قد تبرر بحضورها في النص الشعري بوصفها تجربة نصية شعرية لا واقعية الا انها تؤسس لإحساس باطني لدى فئة تحاول خلخلة هذا النسق الاجتماعي وتفكيكه وإعادة تشكيله اعتمادا على معطيات اجتماعية مغايرة وربما متناقضة ومخالفة لما عهده المجتمع العربي من علاقات اسرية واجتماعية ولم ينج من ذلك حتى المشهد الديني الذي يعد

1 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :9/1 .

2 ــ المصدر نفسه : 9/1 .

3 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :9/1 .

صورة دالة التزامية لا بد من الوقوف امامها وقفة متأنية ، اذ يلحظ في نص شعري يصف فيه عمر مشهد رمي الحجارة ، يقول :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لا يُباءُ بِهِ دَمٌ ، ومن غلقٍ رهناً ، إذا ضمهُ منى[1]

ومنْ مالىءٍ عينيهِ من شيءٍ غيره إذا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البيضُ كَالدُّمَى[2]

تبدو الابيات الشعرية وقد اختلطت فيها مشاعر الرغبة في المرأة مع شعائر الدين والرغبة في محو الخطايا، وهو مشهد يحاكي الأسلبة بأدق صورها واكبرها اثرا في المتلقي للنص الشعري اذ ان الحج موسم عبادة وخشوع وخضوع وتقرب من الله عز وجل، وقوله مصرحا بمشهد الطواف :

قف بالطواف ترى الغزال المحرما

المحظور والمباح :

تعد المرأة المحرك الرئيس لهذه القصيدة (قصيدة الغزل) فيما عدا عصرا أصبح فيه ما يسمى بالتغزل بالغلمان ولسنا معنيين بذلك في وجهتنا هذه ، وهناك من ذهب إلى ابعد من هذا الغزل حين عدّ المرأة هامشا ثقافيا في تاريخ التأويل الذكوري[3] ، إذ إنّ الرجل يتحدث عن المرأة غاليا في اطار المادة والجسد ، ونادرا ما تستوقفه المرأة الروح أو الانسان ؛ لأنّها بالتالي ليست جزءاً اساسا من بنية ثقافية أو مجتمعية تستحق الوقفة والاحترام حتى مطلع الاسلام حين انفردت النصوص القرآنية بمنحها السلام الروحي والجسدي المادي ، وغيّرت قيما مجتمعية سار القدامى عليها لعلّ اوضحها الوأد والإرث وغير ذلك.

تبدو هذه الثنائية محركا قويا لنمط قصائد الغزل العذري والصريح واللذين استقلا فنا وتمايزا بينهما ولئن عرف عمر بن أَبي ربيعة بكونه شاعر الغزل الصريح الا اننا نزعم ان هذه الثنائية تنطبق على كل قصائد الغزل العربي التي عرفها العرب

---

1 ــ المصدر نفسه :9/1 .

2 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة :10/1 .

3 ــ ينظر : بحث : (المرأة هامشا ــ نقد ثقافي في تاريخ التأويل الذكوري لقيمة المرأة حتى مطلع الاسلام) ، م.د. فراس صلاح عبد الله العتابي ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ــ قسم اللغة العربية ، مجلة الاستاذ العدد 224 ــ مج 1 لسنة 2018م ــ 1439هـ :

منذ عصر ما قبل الاسلام حتى يومنا هذا ، فالحلال والحرام ثنائية أصبحت معلومة لدى المجتمع العربي لا سيما (المسلم) ؛لذا أخذت المرأة تبرر هذا الفعل المجتمعي المرفوض بالعرف لتجعل الذنب عرفا رغبة من الشاعر في مقاربة الممنوع وجعله مباحا وكأنّ حال الشاعر على لسان المرأة يناقش عرفا اجتماعيا يراه سلطويا يلقي بثقله على العلاقات الانسانية التي قدّمتها المرأة واصفة اياها بقولها : (إن رام الوشاة) ، وتبدو الازدواجية في العرف والنسبية في حسم قيم خلقية عديدة قدّمها النص الشعري وكأنها متقاربة وربما متشابهة وعدّ فضح هذه العلاقات (وشاية) واثما وعدّ الذنب (عرفا) .

ثمة خبط واضح في مثل هذه النصوص اذ لم يستطع الشاعر في علاقته بالمرأة تبرير هذه العلاقة لجعلها تبدو معقولة ومقبولة، ولا أدرى كيف استطاع الغزل وان كان صريحا طرق مثل هذا الباب الذي خلخل او حاول ان يفكك عرفا جرى عليه المجتمع وتواضع عليه الناس، يقول على لسان المرأة:

وقالت لأختيها: اذهبا في حفيظة فَزورا أَبا الخَطَّابِ سِرًّا، وَسَلِّما[1]

اذ يقدّم النص صورة للمرأة التي تبادر في التواصل مع أبي الخطاب (مر) ، وهو تواصل لا تحكمه العلاقات الاجتماعية المباحة بدلالة توظيف ما يؤكد حرمة ذلك التواصل من الخفية والمنع في قولها : (فزورا ابا الخطاب سرا) ، ويبدو التناقض واضحا بين مفهوم الزيارة الذي يقوم على التودد والقربة والكتم (سرا) الذي يؤكد وهو منع او رفض مجتمعي يحول دون قيام او اباحة قيام هذه الزيارة وتقدم اشارة واضحة للأعراف والتقاليد في قولها:

وقولا له : إنْ تجنِ ذنباً مِنَ العُرْفِ إنْ رَامَ الوُشاةُ التَّكَلُّما[2]

إذ يتضح صوت الصراخ بين العرف الذي يمثل (منع التواصل) ، والذي يعدّه المجتمع ضمن معطيات إنّ الشاعر يعمد إلى كسر ثوابت اسسها الاسلام ووثق بها عقود الحياة من ذلك أنّه يكشف عن رغبة في كسر حرمة نساء غير بغايا ، يقول :

---

1 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة : 448/1 .

2 ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة: 449/1 .مج

وبنفسي ذواتُ خلقٍ عميمٍ هُنَّ أَهْلُ البَهاء وأَهْلُ الحَياءِ
قَاطِنَاتٌ دورَ البَلاطِ كِرَامٌ لَسْنَ مِمَّنْ يَزورُ في الظَّلْماءِ[1]

يتخذ النسق الذي اقامه الشاعر معتمدا من الامنية افقا رحبا لطرح رغبته الدفينة (وبنفسي)، وهي رغبة فردية هكذا تبدو بدلالة التملك الموجود في الضمير (ي) لكنّها رغبة ذكورية؛ لأنّ الشاعر يتحدث لا عن حبيبة كي يبدو الامر طبيعيا في نسق الحديث من الرجل تجاه المرأة لكنّه يسلط الرغبة ويفصل الامنية في (ذواتُ خلقٍ عميمٍ) ، (هي ، قاطنات ، لسن ممن .....) ، إنّ الاثبات في الوصف (هن) الذي امتزج مع النفي (لسن) يؤكد تفصيله خوض تجربة يدرك أنّه من المحظور؛ لذا فصل القول في وصفه لهن (ذوات خلق ، أَهْلُ البَهاء ، أَهْلُ الحَياءِ....) الا يبدو الامر خرقا لثوابت مجتمعية يدرك الشاعر حقيقة خطورة هذه المسألة التي حاول تهميشها في اطار الامنية وكأنّ الامنية عالما رحبا لاستقبال رغبته ونقلها من المحظور إلى المباح. ويبدو هذا الخرق في مواقف أُخرى متعددة.

استوقفني واحد من النصوص التي جاءت في كتاب المحاسن والاضداد ولعله سيكون خاتمة ما قدمناه في هذه الدراسة المختصرة التي هي جزء من مشروع أكبر وموضوع أكثر شمولية ارتأينا ان تكون قراءتنا مختصرة حتى لا يمل الباحث فيها، جاء في المحسن والاضداد قوله: (استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذن لها، وكتب إلى الحجاج يأمره بالتقدم إلى عمر بن أَبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره، فلما بلغ عمر مقدمها، لم يكن له همة إلا أن يتهيأ بأجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب. وضربت لها قبة في المسجد الحرام، فكانت تكون فيها نهاراً، فإذا أمست، تحولت إلى منزلها لتنظر إليه وتجلس بازاء القبة، وقد خبر عمر بشأنها، فإذا أرادت الطواف، أمرت جواريها فيسترنها بالمطاريف، ....)[2] الا يعد هذا النص جزءاً من عبث الماضي وحطام التاريخ؟ هل سوَّغ الشعر أخلاقيا واجتماعيا للشاعر أَسلبة

1 ــ المصدر نفسه: 3/1 .

2 ــ المحاسن والاضداد، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ 1423 هـ :287/1.

البيوتات العامرة باهلها وتحويل نسائهم إلى حكايات تطرحها المتسامرات ليلا ويأنس السامع لها المتلقي للنص بكمِّ المغامرات النصية والمخالفات الخلقية حين تبتعد عن قيم المجتمع ؛لتؤسس بما يعرف بالغزل الصريح ،فلا نحن نبيح كل شيء فيستوي النص جاهليا، ولا نحن نثبِّت قيما فيرقى النص أخلاقيًا كما شاء عصره وعصر شاعره .

خاتمة في سطور:

- **ليس ثمة على حد علمنا ما يسمَّى بـــ(مصطلح ثابت) أَنَّ كل المصطلحات وربما أَغلبها في حقل الإنسانيات لا يعدو أَن يكون مفهومًا أَسست لدراسة حذرة قلقة.**
- **الاستلاب لفظة قد تبدو حديثة النبرة لكنها فعلًا قديمًا نتحسسه في النص الشعري ونستكشف مدى أثره في المجتمع العربي ضمن سياق النص الشعري.**
- **على صعيد التلقي حاولت هذه الدراسة إعادة قراءة شعرنا القديم على وفق تلق حديث للنص الشعري.**
- **لا تصدر القراءات الفكرية حكمًا أَخلاقيًا إنَّما هي ضرب من الفكر المتحرر القابل للنقاش.**
- **تكاد تكون قصائد عمر بن أَبي ربيعة جميعها معينًا خصبًا يغذي هذا المفهوم وينَّمي هذه الظاهرة.**
- **لم يقف البحث عند ترجمة الشاعر، نسبه، وشعره؛ لأَنَّها معلومات لا حاجة للبحث في عرضها .**

References

- Dr. Aziz Al-Hajj **The Cultural Invasion and Its Resistance**, , The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition, Beirut - 1983:13.
- Lexicon of Measures of Language, by Abi Al-Hussein Ahmed bin Fares bin Zakariya Al-Razi (d. 395 AH), compiled by: Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 2008: 1/566, and the foundation of rhetoric by Imam Jarallah Abi Al-Qasim Mahmoud Ibn Omar al-Zamakhshari (d. 538 AH) Dar Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD: 361. Lisan al-Arab, by Imam Jamal al-Din Abi al-Fadl Muhammad bin Makram Ibn Manzoor (d. 711 AH), investigation by Amer Ahmed Haidar, reviewed by Abdul Moneim

Khalil Ibrahim Scientific Books House, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1426 AH - 2005 AD: 1/232

- Dr. Ali Farid **Language and Identity between Cultural Alienation and the Metaphor of Consciousness**, November 12, 2018. Website: Ruyaa.cc/page/8553
- d. Ali Farid **Islamic Realism in Literature and Criticism** x, Al-Manara Publishing House, Saudi Arabia, 1st edition - 1985 AD: 167.

- Abu Saeed Abdul-Malik bin Qarib bin Abdul-Malik (deceased: 216 AH) **The Virtuosity of the Al-Asma'i Poets**, edited by Sh. Toure, introduced by: Dr. Salah Al-Din Al-Munjid, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1400 AH - 1980 AD: 1/18.
- Islamic realism in literature and criticism, d. Ahmed Bassam Sai: 23.
- Abu Zaid Muhammad bin Abi Al-Khattab Al-Qurashi (deceased: 170 AH),**The Arab Poetry Collective**, Edited by: Ali Muhammad Al-Bajadi, Nahdlat Misr for Printing, Publishing and Distribution: 1/97.

- Himself: 1/9, and see: Al-Aghani Abu Al-Faraj Al-Asbahani, edited by: Samir Jaber, Dar Al-Fikr - Beirut, 2nd edition: 3/ 113.
- Diwan Omar bin Abi Rabia
- Research: (Women are Margins - A Cultural Criticism in the History of the Masculine Interpretation of the Value of Women until the Beginning of Islam), Dr. Firas Salah Abdullah Al-Atabi, Al-Mustansiriya University, College of Education - Department of
- Arabic Language, Al-Ustad Magazine, Issue 224, Volume 1 for the year 2018 AD - 1439 AH:
- Virtues and Opposites, Amr bin Bahr bin Mahboub Al-Kinani with loyalty, Al-Laithi, Abu Othman, famous for Al-Jahiz (deceased: 255 AH), Al-Hilal Library and House, Beirut - 1423 AH: 1/287.

The Power of Alienation in the Poetry of Omar bin Abi Rabia: A Study in the Image of Women

Iman Khalifa Hamed *

Abstract

Talking about alienation without restricting it to a word that clarifies its path becomes a loose talk as this word has become

* **Asst.Prof /Department of Arabic Language/College of Education for Human Sciences/University of Mosul.**

modern and recurring, and when we say that it is modern, this does not mean, no, that the past did not witness usurpation of any kind, but we are aware of the fact that the word was trapped in thought and emerged as a concept. Not as a term in the modern era, so we owe to the West the emergence of the term, but at the same time we confirm the existence of multiple forms of alienation in the Arab reality. His analysis of the poet's texts and his criticism of the environment and the soft era to which Omar bin Abi Rabia belongs, as well as concepts close to the term such as marginalization, alienation and identity.

Key words: alienation, women, Umayyad poetry, marginalization, societal values.